المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 13-06-2006 العـــدد : 14535
الصفحـات : 21 المسلسل : 150

في ضوء زيارة المليك للشرقية.. أرامكو - السعودية تحديات وآفاق

نجيب الخنيزي

التخلف والتأخر ليسا قدراً لا مناص منه بالنسبة لمجتمعات العالم الثالث ومن بينها بلادنا وانه عبر التنمية الشاملة بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وعبر الاعتماد على الذات وتملك الإرادة الواعية لدى القيادة والمجتمع للدفع بالإنسان (المواطن) وإطلاق مكامن القوة فيه لكي يمتلك مصيره ويتحكم بمسار تطوره، فان هذه المجتمعات قادرة على ردم فجوة التخلف والتأخر والفقر، والانطلاق نحو آفاق التطور والتقدم والمشاركة النشطة والفاعلة في الحضارة الإنسانية التي هي ملك وقاسم مشترك للبشرية كلها بدون الشعور بالدونية والاغتراب ومسخ الشخصية والهوية الوطنية أو طمس الميراث الحضاري . وفي اعتقادي إن ركيزتين أساسيتين لا بد من توفرهما في هذا المجال وبدونهما يكون الحديث عن التنمية والتقدم ضربا من المستحيل الركيزة الأولى: هي الإنسان بكل أبعاده وتجلياته ومتطلباته المادية والوجودية والمعرفية وقدرته على الانتقال من حيز الضرورة إلى حيز الحرية والركيزة الثانية: هي القدرة على الاندماج وامتلاك جوهر الحضارة المعاصرة وتمثلها بما هي معارف وتقنية وعلوم ومعايير وممارسة وطرق تفكير . وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى حدثين تاريخيين لعبا دورا حاسما في التشكيل المعاصر لمجتمع الجزيرة العربية وهما عملية التوحيد التي قاد مسيرتها القائد المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود مطلع القرن المنصرم ، حين استطاع توحيد الشطر الأكبر من الجزيرة العربية في كيان سياسي جغرافي موحد في أول وانجح تجربة وحدوية عربية على الإطلاق تم خلالها تجاوز كافة الانقسامات والاختلافات الموضوعية والذاتية العميقة الجذور كالقبلية والعشائرية والجهوية والطائفية ناهيك عن التخلف والجهل والفقر والاحتراب وتخلف البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة آنذاك وضمن التجاذبات والتحديات الداخلية والإقليمية والدولية التي استطاع التعامل معها بحنكة وذكاء ودراية . وفي إطار وسيرورة عملية التوحيد توطدت الأسس الموضوعية والذاتية للانتقال من الوحدة

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 13-06-2006 العـــدد : 14535
الصفحـات : 21 المسلسل : 150

السياسية – الاجتماعية إلى حالة أرقى من الوحدة الوطنية المجتمعية ضمن سياقات على درجة كبيرة من حالة الركود الاجتماعي وانتشار الأمية وتخلف الوعي والانغلاق الفئوي وتجذر الانتماءات الفرعية القديمة وهيمنة القطاعات الاقتصادية الهامشية والتقليدية المتقطعة والمنقطعة عن بعضها التي سادت لقرون عدة معظم أصقاع الجزيرة العربية، ما عدا بعض الاستثناءات المحدودة ويبدو أن حالة التخلف السائد وعدم وجود مغريات اقتصادية ذات أهمية آنذاك من العوامل التي حدت من أطماع القوى الاستعمارية الأوروبية في الهيمنة على غرار ما حدث في البلدان والمناطق العربية المجاورة الحدث الثاني تمثل في اكتشاف النفط فبعد توقيع امتياز النفط بين الشركات الأمريكية والحكومة السعودية في عام ١٩٣٢م وبدء تدفق النفط في مارس ١٩٣٨م فان المجتمع اخذ يدخل طورا جديدا مس كافة جوانب حياته وحدد إلى درجة كبيرة طبيعة تطوره اللاحق .

إذ من المعروف أن مفهوم الدولة– الأمة والوحدة القومية (الوطنية) تاريخيا استند إلى عدة مقومات من بينها ترابط ووحدة الجغرافيا واللغة والميراث التاريخي والاجتماعي والديني والثقافي، إضافة إلى العامل الاقتصادي الذي يلعب الدور الحاسم في مراحل معينة من التشكل والتبلور السياسي – الوطني .تاريخيا فان الدول والحضارات القديمة نشأت على ضفاف الأنهار والمنافذ البحرية المفتوحة أو تشكلت في سياق السعي للسيطرة عليها . ومع تطور العلاقات النقدية – السلعية وتشكل البرجوازية في رحم المجتمعات الإقطاعية القديمة في أوروبا فان الرأسمالية الصاعدة هناك سعت إلى تحطيم العزلة التي فرضها سادة الأرض من الإقطاعيين والملاك العقاريين وعن طريق الثورات البرجوازية تحققت الوحدة القومية التي تقتضي وحدة السوق الداخلية بحمولاتها من تحرير القوى المنتجة وإقصاء وتحجيم هيمنة الكنيسة وبث فكر التنوير (الأنوار) الذي مهد الطريق للثورة الصناعية العارمة التي خلقت مفهوما جديدا هو الشعب والدولة والأمة بديلا عن مفهوم الرعية والولاء المشخصين للمالك أو زعيم القبيلة هذا المفهوم الجديد للدولة القائم على رباط القواسم والمصالح المشتركة أصبح سمة مشتركة (بدرجات مختلفة من النضج والتبلور) للدولة الحديثة في العالم وفي هذا الصدد فان اكتشاف النفط في مجتمع الجزيرة أدى إلى بداية تشكل علاقات إنتاج جديدة لكنها ظلت متعايشة مع العلاقات الإنتاجية القديمة . علاقات الإنتاج الجديدة بنمطها الاقتصادي أدت إلى تبدلات وتطوير لقوى الإنتاج وهذه العملية التاريخية المستمرة مع إنها لم تكتمل عناصرها وحلقاتها بعد إلا أنها أدت إلى خلخلة وهز المكونات الاجتماعية والاقتصادية الساكنة وبلورة نمط اقتصادي جديد وتشكل اجتماعي – طبقي متداخل ومتعايش مع التكوينات القديمة ورافقها وعي مستجد يستمد مقوماته من علاقات العمل الجديدة والتقنية والأدوات التي تتطلب مهارات فنية راقية مقارنة مع أشكال الوعي التقليدي السائدة . لقد حفزت عمليات التنقيب وصناعة استخراج النفط وما رافقها من نشاطات متنوعة عملية الحراك الاجتماعي في طول البلاد وعرضها إذ جذبت صناعة النفط الوليدة سكان المناطق المختلفة القاطنين في المدن والقرى والأرياف والبادية من أقصى البلاد إلى أقصاها وتشكلت رابطة وبداية وعي جديد على أساس أفقي وهو ما يميز المجتمعات الحديثة. غير أن الإشكالية هي استمرار تعايش أشكال وأنماط مختلفة للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية تنتمي إلى مراحل تاريخية سابقة مع اختلال في تطور القوى المنتجة فالقطاع النفطي تميز على الدوام بعلاقاته الإنتاجية الحديثة وقواه المنتجة المتطورة وارتباطه وتفاعله بالمفاصل الأساسية للسوق العالمية في حين استمرت القطاعات والأنماط الاقتصادية – الاجتماعية المتخلفة وأشكال الوعي المرافق لها قوية الحضور ، غير إن مجرى التطور قد حسم نهائيا هيمنة وسيطرة القطاع الحديث في الميدان الاقتصادي وعلى صعيد البناء التحتي غير أن التغيرات الموضوعية في البناء التحتي تتطلب بالضرورة مواءمة البناء الفوقي معها وهو ما يجعلنا نصل إلى نتيجة مفادها إن عملية التنمية تستلزم المضي بها إلى نهايتها وان أي فصم أو تجاهل لعنصر من عناصر التنمية فانه سيخل بمجمل العملية أو يشوه ويعيق مسيرتها.

> مفهوم الدولة- الأمة والوحدة القومية (الوطنية) تاريخيا استند إلى مقومات ترابط الميراث التاريخي